

التحرير والتنوير

(و [الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون] 180) هذا خطاب للمسلمين فتوسطه في خلال مدام المشركين لمناسبة أن أقطع أحوال المعدودين لجنهم هو حال إشراكهم با [غيره لأن في ذلك إبطالا لأخص الصفات بمعنى الإلهية : وهي صفة الوجدانية وما في معناها من الصفات نحو الفرد الصمد . وينضوي تحت الشرك تعطيل صفات كثيرة مثل الباعث الحسيب والمعيد ونشأ عن عناد أهل الشرك إنكار صفة الرحمان . فعقبت الآيات التي وصفت ضلال إشراكهم بتنبية المسلمين للإقبال على دعاء [بأسمائه الدالة على عظيم صفات الإلهية والدوام على ذلك وأن يعرضوا عن شغب المشركين وجدالهم في أسماء [تعالى .

وقد كان من جملة ما يتورك به المشركون على النبي A والمسلمين أن أنكروا اسمه تعالى الرحمان وهو إنكار لم يقدمهم عليه جهلهم بان [موصوف بما يدل عليه وصف (رحمان) من شدة الرحمة وإنما أقدمهم عليه ما يقدم كل معاند من تطلب التغليظ والتخطئة للمخالف ولو فيما يعرف انه حق وذكر ابن عطية وغيره . أنه روي في سبب نزول قوله تعالى (و [الأسماء الحسنى فادعوه بها) أن أبا جهل سمع بعض أصحاب النبي A يقرأ فيذكر [في قراءته ومرة يقرأ فيذكر الرحمان فقال أبو جهل " محمد يزعم أن الإله واحد وهو إنما يعبد آلهة كثيرة " فنزلت هذه الآية .

فعطف هذه الآية على التي قبلها عطف الأخبار عن أحوال المشركين وضلالهم والغرض منها قوله (وذروا الذين يلحدون في أسمائه) .

وتقديم المجرور المسند على المسند إليه لمجرد الاهتمام المفيد تأكيد استحقاؤه إياها المستفاد من اللام والمعنى أن اتسامه بها أمر ثابت وذلك تمهيد لقوله (فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه) وقد التزم مثل هذا التقديم في جميع الآي التي في هذا الغرض مثل قوله في سورة الإسراء (فله الأسماء الحسنى وسورة طه له الأسماء الحسنى وفي سورة الحشر له الأسماء الحسنى) وكل ذلك تأكيد للرد على المشركين أن يكون بعض الأسماء الواردة في القرآن أو كلام النبي A أسماء [تعالى بتخييلهم أن تعدد الاسم تعدد للمسمى تمويها على الدهماء .

والأسماء هي الألفاظ المجعولة أعلاما على الذات بالتخصيص أو بالغلبة فاسم الجلالة وهو ([) علم على ذات الإله الحق بالتخصيص شأن الإعلام و (الرحمان) و (الرحيم) اسمان [بالغلبة وكذلك كل لفظ مفرد دل على صفة من صفات [وأطلق إطلاق الإعلام نحو الرب والخالق

والعزیز والحکیم والغفور ولا یدخل فی هذا ما کان مرکبا إضافیا نحو ذو الجلال ورب العرش فان ذلك بالأوصاف أشبه وأن کان دالا علی معنى لا یلیق إلا باء نحو ملک یوم الدین .
والحسنی مؤنث الأحسن وهو المتصف بالحسن الكامل فی ذاته المقبول لدى العقول السلیمة
المجردة عن الهوى وليس المراد بالحسن الملائمة لجميع الناس لان الملائمة وصف إضافی نسبی
فقد یلائم زیدا ما لا یلائم عمرا فلذلك فالحسن صفة ذاتیة للشیء الحسن .
ووصف الأسماء (بالحسنی) : لأنها دالة علی ثبوت صفات کمال حقیقی أما بعضها فلأن معانیها
الکاملة لم تثبت إلا بـ نحو الحي والعزیز والحکیم والغنی وأما البعض الآخر فلأن معانیها
مطلقا لا یحسن الاتصاف بها إلا فی جانب اء نحو المتکبر والجبار لأن معانی هذه الصفات
وأشباهها كانت نقصا فی المخلوق من حیث أن المتسم بها لم یکن مستحقا لها لعجزه أو
لحاجته بخلاف الإله لأنه الغنی المطلق فکان اتصاف المخلوق بها منشأ فساد فی الأرض وکان
اتصاف الخالق بها منشأ صلاح لأنها مصدر العدالة والجزاء القسط .
والتفریع فی قوله (فادعوه بها) تفریع عن کونها أسماء له وعن کونها حسنی أي فلا حرج
فی دعائه بها لأنها أسماء متعددة لمسمى واحد لا كما یزعم المشرکون ولأنها حسنی فلا ضیر فی
دعاء اء تعالی بها . وذلك یشیر إلى أن اء یدعی بكل ما دل علی صفاته وعلی أفعاله .